مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
إلى مكة حرسها الله استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان
عمرو قد انطوى على دغل نيته وفساد طويته وطماعيته في نيل
الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك قد فطن لذلك إلا أنه يبقي
عليه لتأكد حرمته وأواصر رحمه فلما فصل أمير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها أياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد
فاستأذن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان في العود إلى دمشق
فأذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد على المنبر فخطب الناس
خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس إلى خلعه فأجابوه إلى
ذلك وبايعوه واستولى على دمشق وحصن سورها وحمى عورتها
وسد ثغورها وبذل الرغائب ⊙ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان
وهو متوجه إلى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والي حمص نزع يده
من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف عليه فخرج على

وزراه

وزراه وفي يده مخصرة يضرب بها عطفيه فأطلعهم على ما بلغه
وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمرو
بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق
واليمن ومصر وخراسان ⊙ وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر
ابن الحارث أمير قنسرين ⊙ وناتل بن قيس أمير فلسطين قد نزعوا
أيديهم من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف أهل
الثغور للخلاف ⊙ وهذه المضرية بسيوفها على عواتقها ناظرة إلينا
بقتلى المرج ⊙ فلما سمع وزراه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا
أن لا مفر ولا مقر فنكسوا رؤوسهم ولم ينطقوا بحرف واحد
فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون أحضروني غناكم في هذا
الوقت وقت الحاجة إليكم فقال له أفضلهم رأيا أي غناء عندنا في
هذا وددت والله أني كنت حجرا على عود من أعوادنا لمنبج حتى
تنقضي هذه الفتن قال عبد الله الحرباء دابة صغيرة طولها